

هكذا الحب !...

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عزيز منصور

أن تكوني سعيدة !

أعان ماري (بوب) على الصمود
إلى السيارة ، ووقفنا لحظة ترقب السيارة
— حتى ابتلعنا منعطفات الطريق —
بأعين حالة ! ...

— هيا بنا يا عزيزتي ! نطلق بيتر
بهذه الكلمات بهدوء ، ولكن الانفعال
الكامن فيها لم يخف على " نفس الانفعال الذي
طنى على مشاعري !
أقبلنا على سيارة بيتر القديمة ، ذات المقعدين ؛
ولما استوبنا داخلها نظر إلى بيتر — وهو يسوق —
محاولاً أن يضحك قائلاً :
— أنا حزين جداً ، إذ لا أجد لي أباً غنياً
بعضدني بماله !
فأجبت بقلّة اكتراث :

— آه ... إن هذا ليس من الإنصاف والعدالة.
إن قلبي ليذوب غماً حين أنطلق إلى « ماري وبوب » ،
فأرى النسيم يحتويهما ، ثم أنظر إلينا فأجدني وإياك
في فقر مدقع ! ... هما تزوجا ، أما نحن ؟ ... ربما
صرت شهرة ، بل سنوات قبل أن نقدر حتى على
التفكير في الزواج ، وإذا ، فإننا لنى أقصى درجات
القنوط في حبنا هذا !

كان بيتر يتينا ولو كان قادراً على مجرد الحصول
على نفقات الجامعة لدخلها ! ثم إنني لم أكن قادرة
على مساعدته ، فإن ما أرسله لي « داد » يكاد بالجهد
الجهيد يتي بحاجاتي الضرورية ، ولذلك لم يكن لي
تحقيق أمله من سبيل ، وكان خير ما نتمل به هو

انصرم فصل الصيف بطوله المل ، وتبعه فصل
الخريف ، ولما نزل نحن الأربعة : « ماري وبوب »
ثم « بيتر وأنا » دائبين على الخروج سوياً . أما اليوم
وقد مضى على تمطيل (الجامعة) بومان ، فإنني وبيتر
واقفان عند مسجل المقود ، نشرف على الاحتفال
الذي به سيصبح « بوب وماري » زوجين . وإننا
لنشعر بأن قلبينا على وشك الانفجار ، لأن الحظ
لم يجعلنا مثلهما :

من فوق شمر ماري الفاحم تلاقت نظرتي بمعنى
بيتر لحظة ، ثم تحولت واستقرت على وجه مسجل
المقود ، ذى الوجه المجوز الذى مشى عليه يد
السنين بتجمّعات وخطوط عميقة .
— لقد أصبحنا زوجين !

هذا ما افترت عنه شفتنا مسجل المقود
المضطربتان ، وعقب ذلك هدوء دام لحظة ، ثم
التفت ذراع (بوب) حول خصر (ماري) وأطبقت
على شفتيها القرمزيتين شفتاه ... وانتهى كل شيء !
خرجنا إلى الشارع ... إلى حيث سيارة بوب
الفارحة في الانتظار ، وعلى الرغم مما كان يخالجنى
من الإحساسات ، فقد ملت إلى ماري وضممتها إلى
صدري قائلة : وداعاً (مسز كولنس) ... إحرصي

— إذن تعالى معي يا كارول ليلة الند ... تعالى
لنرحل إلى مكان سحيق ولن نعدم مكاناً صغيراً يا وينا،
وإني لقسم لك أنك سوف لا تندمين قط !
فأجبتته كن فقد صوابه :
— آه يا بيتر ... وعني أفكر ... أهلى قليلاً ...
آه ... نعم يا بيتر أما أعدك ، سأذهب معك ؟

أبغضت أول خيط من النور نفذ إلى غرفتي
في صباح اليوم التالي ، فلبثت جالسة أسترجع ما مر
بي من حوادث اليوم السابق ...
ما شعور فتاة تفكر في يوم عرسها القريب ؟
حرارة والتهاب ممزوجان يعض الخوف ، واهتزاز
في كل عضو من أعضاء الجسم ؛ وهذا نفس
ما حل بي ولو أنني كنت متقدمة بأن حفلة زواجنا
لن تقام !
لقد وضعت اليوم حياتي ومستقبلي في قبضة
بيتر ، وكنت إذا خطر ذلك على بالي اشتدت ضربات
قلبي ، وتلاحق تنفسي ، مع أن قلبي لم تكن فيه
ذرة واحدة من الخوف من جانب بيتر
كان حبي لبيتر جارفاً ، وكان يبادلني نفس
الحب فلماذا لا تكون مراسيم زواجنا رائعة كحبنا ؟
هذا ما ظلت أفكر فيه
نهضت من فراشي وقصدت النافذة ، وما ألقيت
على السماء نظرة حتى أحسست بقشعريرة تسري في
بدني ! لقد كان اللون الرمادي لون السماء في ذلك
اليوم ، وكانت النجوم الشبهية بالثلج متكدة على
أبعاد مختلفة في الجو ، أما الشمس ، فلم يكن يبدو
من أشعتها أثر !
انثنيت لارتداء ملابسي ، فأخذت أنقى الملابس

ابتهالنا أن تنمخض لنا الأيام عن معجزة حامله
السعادة في طياتها !
في الليلة التالية كان أروع لقاء عرفنا . فهناك
على بعد ميلين من المدينة بمحاذاة النهر وقف بيتر
سيارته الصغيرة على حافة الماء ، وجلسنا ننظر إلى
الأفق البعيد !
كانت ليلة ساكنة تجلت الروعة فيها بأبهى
المعاني ! فقد كانت أسلاك القمر اللجينية المنسكة
تنخلل الأشجار اللتفة ؛ أما النسيم فكان عليلًا ،
ممنكاً في مداعبة تلك الأغصان المجردة عن أوراقها !
قال بيتر : أذكركم ليلة تلاقينا للمرة الأولى
يا كارول ؟ ... غوطته بيدي وأجبت :
— نعم يا بوب لازالت ذكراها عالقة بفكري .
لقد كانت أروع ليلة في حياتي ! ... نعم لقد كان
الوقت ربيعاً وكنت أخاصر « نيد هولواي » في
رقصة « اعذرني » في إحدى الحفلات حين أتيت
وأخذتني منه ... ثم لم يعد مجرى حياتي كما كان قبلاً !
صاح بيتر وقد ضمني إلى صدره :
— كارول ... أيتها الغالية ... هكذا أحبك ،
وانهال على شعري لثماً وتقبيلًا وهو يقول :
عزيزتي ، عزيزتي ! يجب أن تبقى هكذا ، أليس كذلك ؟
— نعم يا بيتر فإنك منيتي الفريدة ... وأنت
حاجتي الماسة ! ... وازدادت يداؤه ضغطاً على جسمي
وشفتاه شدة في لثمي ...
— كارول ! ما أطول هذه السنة ، أنواصل
تدمير زهرة شبانا ، ترين متى تذوق السعادة ! ؟
لم أجب فماد يقول : كارول لا تقضي ، آهيني ؟
— نعم يا بيتر ... أحبك أكثر من أي شيء
آخر ... !

وهي تبعد عنا قرابة مائة وخمسين ميلاً ، وإننى
لأتنبأ بأنك ستتعلمين بها متى رأيتها !

امتطينا السيارة الصغيرة ، وأخذت الأميال
تنطوى وذهبت أفكارى تسبح فى أودية الخيال وتدور
حول ما أنا مقدمة عليه من مغامرة مجهولة العواقب ،
فكنت أقبض تارة لحماقتى وأبسم أخرى معللة نفسى
بأن لا حياة بلا مغامرات !

كان الإعياء قد ذهب بشهيتنا فواصلنا السير
دون توقف ، وحين جاوزت الساعة الثانية بعد الظهر
أشرفنا على فندق صغير جذاب مطل على الطريق
شعرنا بشدة انخفاض الحرارة عند نزولنا من
السيارة ، إذ أخذ الهواء القارس يقرسنا بشدة ،
ولكن سرعان ما دبّت الحرارة فى عروقنا عند دخولنا
الفندق الدافئ . أنهمكنا فى الأكل بتوان ...
وبعد انتهائنا ألفتنا الساعة مشرفة على الثالثة
والنصف فهرعنا إلى السيارة وواصلنا السير

ازداد الظلام حلوكة ، وغدت السماء كالقار فى
السواد ، وكان الرعد التواصل مما يدخل الرهبة
فى القلوب !

قال بيتر بصوت لطيف لتهدة روعى :
ربما نزل بمض البرد ...

ثم أردف :

ولكن بلوغنا الهدف سيكون قبل أن يتراكم
بلغت الساعة السادسة ولما نزل أماننا أميال عدة
دون غابتنا وأخذ الصقيع ينزل بشدة والسماء شديدة
العتمة ... والطرق التى أخذنا نسير فيها ذلك الوقت
ضيقة ملتوية مما جعل مواصلة السير من الصعوبة
بمكان ! ولكن على الرغم من كل ذلك تشبثنا بأهداب
الجرأة فواصلنا سفرنا حتى صاح بيتر بعد لحظة :

الخضراء اللامعة لطوق الفرو الذى يمشقه بيتر . ثم
أقبلت أخطر أمام المرأة وأصلح هيئتى ، وأنا أعجب
لأننى قد اكتسبت هيئة من على أهبة الزواج !

خرجتُ لأستقل القطار إلى « نيوبرى »
حيث بيتر فى انتظارى ، ومن حسن حظى أن أدركت
القطار قبل سفره بدقائق وجيزة فكان على أن أنتظر
بضع دقائق فى المحطة ، وكنتُ أشعر أن هذه السفرة
إلى « نيوبرى » ستكون أطول مرحلة أقطعها
فى حياتى !

وأخيراً ... هدأت حركة القطار ووقفت عرباته
فزلت أسير بهدوء ، وما كدت أقطع بضع خطوات
حتى لاح لى بيتر مقبلاً نحوى بخطى واسعة والبشر
باد على محياه ، أما أنا فكان ما صرفته من جهد
فى مجيئى وما بذلته لمقاومة الأفكار المتباينة المتوالية
على فكرى قد جعلنى شبه مريضة واهية القوى !
قال بيتر :

— لقد تخيلتُ أن هذا للقطار اللعين سوف
لا يصل إلى هنا أبداً . . . قال هذا وهو يلتقط
حقية ملابسى بإحدى يديه ويلف الأخرى حول
ذراعى ، وبعد قليل أردف : لقد بدا لى أننى منتظر
سنين قبل مجيئك يا عزيزتى

وفجأة زال صدايحى فهدأ قلبى وزال منه ما كان
يلاحقه من شك ، فاقت ثغرى عن ابتسامة طرب لها
بيتر ، وقال وهو يأخذ ييدى إلى سيارة صغيرة مغلقة
واقفة بجانب الرصيف :

— هذه سيارة « دكس » ، لقد استعرتها منه
لنقضى بها حاجتنا . فسألته :

— أين نحن ذاهبان ؟

— إلى قرية فى « دارنمور » لى معرفة بها ،

— أتقولين الآن هذا؟ لو كانت هذه رغبتك
لفعلنا قبل الآن... أما ونحن في هذا المركز الحرج
لا يسمننا إلا أن نواصل السير لعلنا نمر على بيت
أو «جراج»

لم ترحف السيارة بنا سوى أقدام قليلة حتى بدأ
الخوف الكامن في قلبي يتضخم ويوحى إلى بنزول
كارثة عظيمة! أخذت بعين الخيال أبصر بسيارتنا
مارقة كالأعمى، وعلى حين غرة تركد في أحد
الآخاديد وحينئذ ماذا سيحل بأجسادنا؟ ستقذف
ولا شك بقوة هائلة إلى جب من الجليد المتراكم
وتسد السيارة علينا سبل النجاة حتى تجمد منا الدماء
وتجمد الروح!

ولما انتهت إلى نفسي وجدت الدم يتفجر من
شفتي وكان ذلك من جراء إطباق أسناني عليهما
لأنكم ضرخة هائلة كادت أن تفلت لسا أوحته لي
تخيلاي!

وأخيراً... أوقف بيتر السيارة وضغط على
المصوت طويلاً ثم قال:

— إنما فعلت ذلك لكيما يفزع من يسمعه
لنجدتنا، ثم دفع باب السيارة بقوة وألقى بنفسه
إلى الخارج على صفحة الجليد اللامع... وبعد قليل
هب واقفاً واندفع يردد هاتين الكلمتين: هالو،
هالو... وكان صدى صوته بطرق سمي وكأنه آت
من مكان سحيق!

كان الهواء يتدفع بقوة نحوى، وقطع البرد
المتناثرة تلسع وجهي لسعات السوط فصرخت بهلع:
بيتر... هيا إلى الداخل يا عزيزي. فسمت صوته
بعد لحظة قائلاً: كارول حبيبتى هانذا آتياً... ولما

— أنقف هنا يا عزيزتى! إنها آخر مدينة تفصلنا
عن القرية التي نقصدها. فأجبت بنبات: لنواصل
السير فأنا لست خائفة!

دب البرد بين مفاصلي واعتدى التشنج جسمي،
وتخدرت جميع أعضائي لطول الرحلة، ولكنني
لم أفه بكلمة واحدة تفصح ما أنا فيه من سوء، فقد
كنت أرى بيتر جاداً في السير بنية وصول دارتمور
ولم أكن أريد أن أخذه

عدا التعب والتأخير في السفر ماذا يمكن أن
أخافه؟؟ قطعنا عشرة أميال أخرى قبل أن أعرف
الجواب على سؤالى هذا! فقد أخذت أرمق بقلق
تلك القطع الثلجية المهيمة خلال الزوبمة الرهيبة،
وبدأت أشعر بأن هنالك شيئاً يخشى منه! وبملاصقتي
لبيتر شعرت بأنه يحس نفس ما أحسه، وذلك من
جاء تصلب أعضائه وتجهم وجهه

لم تكن عاصفة اعتيادية تلك التي داهمتنا في سفرنا
ففي خلال خمس دقائق التالية تحولت إلى زوبمة
عنيفة وأضحى صفير الرياح يملو دوى آلات السيارة
وكانت القطع الثلجية تصيب زجاج السيارة بشدة
حتى لقد غدت جميع نوافذها قطعة من ثلج!
ولم تستطع آلة التنظيف الأمامية إزالة الثلج إلا
عن مسافة جد قليلة مقابل عجلة القيادة فقط

انحنيت قليلاً مصوبة نظري إلى الطريق في خلال
تلك المسافة المزال منها الثلج، فأبصرت بالطريق
قد اندرست معالمة لما تراكم عليه من ناصع الثلج،
ولم تكن عين الناظر قادرة على اختراق الظلام الدامس
أكثر من خمس أقدام، فانتثيت إلى بيتر قائلة:

— بيتر! من الخير لنا أن نقف!

فأجاب بتعطيل:

منها أجسامنا إلى الخارج جراً . ومن خلال الباب
الفتوح الذى وقف الرجل ، ذو الصباح ، بجانبه ،
نفذنا إلى الداخل

أحسست برئتي سليميتين حادثين ، فتهاكت
على الكرسي الكبير غارقة في خواطري ، وإذا بيتر
ينحنى على قائلًا : أحالتك رديئة ؟ فأجابته محاولة
الابتسام : كلا يا عزيزي إنني بخير

كان الرجل واقفاً بقربنا وقد أوى الباب ظهره ،
وكان الصباح لا يزال يتدلى من إحدى يديه ،
أما عيناه فكانتا تتطلعان نحونا بفزع ورعب ،
صاح بنا بصوت أجش :

— من أين قدمتا أيها الغريبان ؟ أمسكت بيد
بيتر بقوة وطفقت أفكر في أن هنالك بلا شك
بعض الالتباس ، ذكر بيتر للرجل اسم آخر مدينة
صررنا بها ، فقال الرجل :

— هل رمقت عيناك شخصاً قادمًا إلينا ؟
فأجاب بيتر باستغراب :

— هل من شيء خطأ أيها الرجل ؟ لست
بقادر على إفادتك بالجواب !

— حـبتك الطيب ... لقد بقيت في انتظاره
حتى ساعة متأخرة ...

— الطيب ؟ قلها بيتر بدهشة ، فأوماً الرجل
بعينه وهو ينقلهما إلى الباب خلفنا قائلًا : هي
زوجتي ، إنها ... إنها حامل ونحن بأمس الحاجة
إلى طيب !

لم يكن الرجل أكبر من بيتر سنًا ، ولقد كان
للتغضنات البادية في وجهه ، ومظاهر الآلام التجلية
عليها ، أعمق الأثر في قلبي وأشد الحزن ، سألت الرجل :

وصلني طوقى بذراعيه وهو يقول : ما أشد كآبتي
على هذه الورطة التي زججتك بها أيتها العزيزة ...
ليتنا لم نأت !

أحسست بوجهه وهو يلتمنى كأنه قطعة من تاج
ولكن شفقيته كانتا تشعان حرارة ... ومرت لحظة
ونحن متشبثان ببعضنا ببعض في يأس قاتل !

تهددت من أعماق نفسي قائلة : ييترا أيها العزيز
سنتضامن حتى النهاية وسنلقى الخطوب بشعر باسم .
وأخذت أحلم بأن حبي لبيتر يفوق أي شيء في العالم !
قطع بيتر تلك الذبذبة السحرية التي غمرتنا بقوله :
يجب علينا الآن مواصلة السير ...

ما سارت السيارة قايلاً حتى حدثت المعجزة !
هنالك ... خلال الضباب الأبيض الذى كان
يلوح أمامنا ، بدأ نور ضئيل متأرجح ، وبكل
صعوبة قدرنا على سماع صوت خافت يقول : من ...
من هناك ؟ ثم لم يلبث أن تعالى ، وفي الوقت الذى
وقف بيتر السيارة تباج الظلام عن شبح رجل
حامل مصباحاً ...

وقف الرجل يرمقنا لحظة ، ثم استدار وأومأ لنا
بمصباحه أن نتبع !

فقال بيتر وهو يكاد يرقص فرحاً : كارول ...
لقد نجونا ، فله الشكر !

— نعم ، شكرًا لك يارب ... ربما لم نكون
نستحق هذا المطف ولكنك أشفقت علينا وأنقذتنا
فشكرًا لك !

أخرجت هذه الكلمات من قلب مغمم بالإيمان
ونفسى مغمورة بنشوة النجاة

كان ملجؤنا بيتاً صغيراً مطلقاً على الشارع ، قادمًا
إليه النقذ ، وإذا وصلنا وقفنا السيارة وأخذنا نجر

— أنا ؟ ... أنا سأكون في أتم صحة !
فأمسكني وضممني إلى صدره وهو يقول :
— لا تقلقي إذا ما تأخرت قليلاً فإن الأقدار
التي أسففتنا في محنتنا تلك ستسففنا ثانية في هذه
الرحلة ! ثم التفت إلى الرجل قائلاً :
— سنذهب إلى المدينة ... أنا أعدك بذلك !
وكان الرجل كان يتوقع هذه النتيجة إذ سرعان
ما قال :

— أسرع أيها الشاب فالوقت أثمن من أن
تقضيه في الكلام !
ولبت ممسكة رأسي بيدي وأنا ناظرة إليهما
حتى ابتلعهما ظلام الطريق !
وبعدئذ ... أحسستُ بجفاف في شفتي منمنى
عن الكلام ، أما قلبي فكانت ضرباته العنيفة شاهدة
على ما كان يخالجنى من الملح والشك !
وبينا أنا في تلك الحال إذا بباب يفتح بجانبى ،
وإذا بأمرأة طويلة الجسم كثيبة المظهر تبدو منه ...
وكان منظرها مما جلب لى الاطمئنان فأخذت أنتنفس
عميقاً وأحسست ببعض الارتياح . قالت المرأة :
— أظنه الطبيب ذلك الذى كان هنا ؟

— كلا ... لم يكن الطبيب ... أنا ... أنا مسز
اندروود ، ولقد صاحب ابنك زوجى لدعوة الطبيب
ونصحنا لى بالبقاء هنا فى الانتظار

— حسن ، خير لك أن تأتى إلى الغرفة الأخرى
فهى أدفا

تبعتها بهدوء إلى الغرفة الأخرى وكانت غرفة
جلوس صغيرة الحجم قدرة ذات أثاث مبهر ولكنها
ساخنة لكثرة ما كان يشتمل من أخشاب ضخمة
فى إحدى زواياها

— هل هى وحيدة ؟

— كلا ، ليست وحيدة فإن أمها لا تفارقها
لحظة ، ولكننا فى حاجة إلى حضور الطبيب مسرعاً
فإنها على وشك الوضع
— آه . إن ذلك لحزن حقاً ! قلت ذلك بصوت
شبيه بالصراخ . فنظر الرجل إلى وكأنه يرانى للمرة
الأولى ! ثم التفت إلى بيتر قائلاً :

— هل تملك فى سيارتك من البنزين كمية كافية ؟
— نعم .

— إذاً ، دع زوجتك تذهب هناك — مشيراً
إلى ما وراء الباب — لكى تدفأ بالنار . أما أنت فإنك
ستقلنى إلى المدينة !

— إلى المدينة ؟ ! انفجر بيتر غاضباً ... عم
تسكلم يا رجل ؟

فأجاب الرجل بصرامة وإصرار :

— يجب على أن أخطر الطبيب .

فأجابه بيتر وهو يهتز :

هل جنت ؟ ... إن المدينة على مدى عشرة
أميال من هنا ، وليس بإمكاننا الوصول إليها فى هذه
العاصفة مطلقاً !

— ولكن ذلك ليس مستحيلاً ! ... سنصلها
بسلام ، فإن معرفتى بكل شبر من الطريق لكفيلة
بذلك ! ...

أعقب هذا الكلام فترة صمت كان تنفسى خلالها
محبوساً ، وإذا بيتر يواجهنى بنظرة دلت على الحيرة
والالتباس ، فحملت فى وجهه ، وقلت بصوت كان
إلى الخمس أقرب منه إلى الكلام :

— يجب أن تذهب !

— وأنت ؟

قلتُ للمرأة بلهجة صادقة :

— حقاً ، لقد أفضى مرض ابنتكم فهل من شيء أقوم به ؟

فأجابت وهي تمرر أصابعها خلال شعرها :

— كلا ... نحن في حاجة إلى الطبيب ! إن لي بشئون التمريض والولادة إلماً لا بأس به ، ولكن هذه الحال ما أشد اختلافها عما تملته !

وجاء قطع علينا الكلام أنينٌ خافت متقطع ..
أنين جد الدم في عروقي !

والتفتت المرأة إلى علي عجل وقالت :

— معذرة ! ... وولجت باباً على يمينها

ألقيت نظرة خاطفة على غرفة النوم ، تلك الغرفة التي دخلتها المرأة الآن ، وجبت تنفسي بقوة حتى انطبق الباب ثانية فحجب الداخل عن نظري

وجه نحيل ناصع البياض شبيه بوجه المحتضر ، وكية من الشعر الفاحم تكدست هناك فوق الوسادة بنت لا تكبرني سنًا كانت هناك في حالة من الألم لم أرها في حياتي قط . فوجدتني أمس قائلة :

— آه يارب ! ساعدها .. وساعد يتر كذلك

كانت ساعة المنضدة تشير إلى الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة . ألا ما أطول ما سيستغرقونه في البحث عن الطبيب ، وما أطول ما سمنتظر نحن على هذه الحال !

تهالكت على الكرسي وأنا آتجلد على محنتي .. وكانت الساعة تواصل ضرباتها الخافتة ، وبالتدريج شردت فكري ثانية إلى تينك اليدين العاريتين الناحلتين !

الساعة الثامنة والرابع ... الثامنة والدقيقة

الخامسة والأربعون ... التاسعة

خيل إلى أن جلستى ستطول إلى الأبد لا أرى سوى تلك الساعة المجنونة مواصلة ضرباتها ... لا أشعر بغير ذلك الفزع والألم ... ولا أسمع سوى تلك التهدات الموجعة وذلك الأنين المتقطع الخفيف الصادر من الغرفة الثانية !

ذهبت بأفكاري إلى حيث بيتر وذلك الزوج الصغير القانط وهما يقودان السيارة في هذا الليل الحالك وهذه الزوبعة الجارفة ؟ ألا يزالان في السيارة إلى الآن ؟ ألا يمكن أن يكونا قد ترديا في إحدى الحفر فأطبقت السيارة عليهما واستحال عليهما الخروج !؟

ومثات من هذه الأفكار أخذت تنهات إلى إلى فكاد يصيبني منها الخبال . ولكنني أخيراً عزمتم على إبعادها عني فاندفعت نحو الغرفة ، وكان همي أن أجد ما أفعله الآن ... شيئاً يمكنني أن أمد يدي بالمساعدة فيه ولو قليلاً ! وكان ما ينبعث من الغرفة المجاورة أصواتاً قليلة جداً ... وقد طرق صمى مرة أنه محزنة خافتة تندت لها عيناي بالدموع !

جاوزت الساعة العاشرة بقليل عند ما رجعت المرأة إلى غرفة الجلوس ثانية بوجه شاحب وجسم متقوس دل على ما كانت تمنّاه من النصب والكآبة . أقبلت علي قائلة :

— هل لك أن تسخني زراً من الماء ... ؟ ولكن لا ... املأي كل آنية يمكنك العثور عليها !
— آه ... نعم ! وهرعت إلى الغرفة السفلى

تكون ... فقاطنى بيتر بمنف :

— كلا، لا يمكن أن تكون ... إن شيئاً من ذلك لا يمكن أن يحدث لتلك الصغيرة ! ورأيت يديه متصلبان ، وكان في نظراته تعبيرات شتى لم أر مثلها قبلاً ! وعاد يقول بهمس : هكذا الحب ! ... إنه حب خليق بالتبجيل ... كارول ! أنت تعلمين ما يمكنه لك قلبى من حب وإخلاص ، ولكن ... ولكنى هذه الليلة اطلعت على حب لم أر له في حياتى مثلاً !

صرخت بقوة :

— بيتر ! ماذا تعنى ... ؟

ولكنه واصل كلامه قائلاً :

— آه يا كارول ... تمنيت لو كنت معى

لترى «توم» وما قام به . لقد قطعت القسم الأكبر من الطريق الموصل إلى المدينة تحت إرشاداته ... واتصلت الأرض الجليدية بقية الطريق لكي ينظف يديه زجاج السيارة الأمامى ، وكان من جراء ذلك أن أصيبت إحدى يديه بالبرد الشديد ، ولكنه لم يضع أى وقت للإسعافها ! ذلك ما قام به توم ! وإنه ليدل على عظم حبه لزوجته وتقانيه لها حتى لقد كاد يضعى بنفسه في سبيلها . ألا ما أروع هذا الحب ! وما انتهى بيتر إلى هذا الحد من كلامه حتى طوقته بذراعى هامسة :

— آه يا بيتر ... يا عزيزى !

وكان النصب الشديد قد أخذ منه كل مأخذ فألقى برأسه على صدرى ولبثت ممسكة به كالطفل ، وفى هذه اللحظة أدركت حقيقة الحب وقده !

منبذة بهذا العمل الذى كنت أوق إليه !

— يمكنك أن تمدى قليلاً من القهوة أيضاً .

قالت المرأة هذا وقد تبعتنى إلى الباب ، ثم أردفت : سيكون الرجال في حاجة ماسة إليها عند رجوعهم ! أحببتها بجرأة : عند رجوعهم ؟ أو تمتددين حقاً أنهم سيعودون ؟

فأجابت ببساطة :

— لا شئ يحول دون رجوع توم !

أحسست بشجاعتى الواهية تنتمش للجهة التوكيدية التى بدت في كلامها ، وأنهزم بمض ما كان حائماً حولى من أفكار سود ! ولكن هذه الشجاعة المتمشة أشرفت على التضعف والزوال مراراً قبل أن يبلغ انتظارنا نهايته !

امتد عقربا الساعة يشيران إلى انقضاء عشرين دقيقة بعد الثانية عشرة ، وفى هذه اللحظة دار مصراع الباب بمنف واندفع إلى الداخل ثلاثة رجال كان كل منهم أشبه بتل جليدى صغير ! وكان الإعياء بادياً عليهم بأجلى مظاهره لما قطعوه من بعد المسافة !

اندفعوا إلى الداخل بترنح . ولما تمالك صوابى أخذت أصرخ :

— بيتر ! ... آه يا بيتر ! وفى لحظة غدوت

بين ذراعيه !

جلست ويتر حول النار ، أما الطبيب وتوم فقد ذهبا إلى الغرفة المغلقة ... سألتى بيتر بصوت خافت :

— هل هى فى خير ؟

— لا أعلم ... هى هادئة جداً وأخشى أن

رفع بيتر رأسه ونظر إلى لحظة ثم قال :
 — كارول ! سنرجع إلى البيت غداً ! لقد
 ركبنا متن الشطط بسفرنا هذا فملينا أن تتلافاه ...
 علينا أن نعود إلى مدينتنا ... ويجب أن نعمل ...
 وننتظر ، ثم بعد أيام سنكون زوجين وسط احتفال
 كبير يليق بك ، فإنك بهذا أحق مما كنا ننوي
 فعله ! ...

لقد ربحتنا ... والشاهد على ذلك طفلي الصغير !

وفي نشوة تلك اللحظة تطلعت عيناي إلى المستقبل

— بيتر ... حبيبي بيتر !

القريب ... إلى اليوم الذي يدوي فيه صوت بيتر

قلت ذلك بنعومة متناهية ، وكان قلبي يرقص

بمثل هذه الجملة ، وفي عينيهِ بريق شبيه بالبريق

من فرط السرور ، وعندما رجع إلى أذني صدى

المنبعث من عيني يوم ! ناصر عزيز منصور

كلاني كانت شفتاه قد أطبقتا على شفتي ، ويداه

شركة مصر للملاحة البحرية

ببواخرها الفاخرة وفنادقها الانيقة

تسير بكم على بركة الله الى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية وينولى عنكم دفع الرسوم

نخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعمارات من :

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها

القاهرة : عمارة بنك مصر القاهرة ١٥١ شارع عماد الدين تليفون ٤٠٧٤٢ - ٥٧٠١٦

الاسكندرية : شركة الملاحة ١٤ شارع فؤاد الأول تليفون ٢١٥٤٦ - ٢١٥٤٧

بور سعيد : شركة مصر للسياحة شارع السلطان حسين تليفون ٤٧٧

السويس : شركة مصر للملاحة البحرية شارع سعد زغلول تليفون ١٢

ومن شركة مصر للسياحة بالقاهرة

شارع ابراهيم باشا تليفون ٤٥٩٦٠ - ٤٦٣٠٣